تنويع دوائر علاقات مصر الدولية يؤمن مصالحها في عالم يتغير بسرعة

بقلم / ضياء رشوان
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تتسارع التطورات في النظام العالمي بشقيه السياسي والاقتصادي بشكل متلاحق في السنوات الأخيرة، حيث تتغير موارد القوة في العلاقات الدولية، ومراكز التأثير، وأنماط التحالفات وتجمعات المصالح، الأمر الذي يشير، بقدر كبير من اليقين، إلى أننا أمام إعادة تشكيل النظام الدولي، على نحو يشبه ما حدث عقب الحرب العالمية الثانية ولكن بأدوات العصر الراهن.. أدوات امتلاك تكنولوجيا العصر، والقدرات الصناعية والإنتاجية، وأساليب المنافسة الحديثة على الأسواق والتجارة والنفوذ الثقافي في ساحاته الجديدة، بما في ذلك العالم الأفتراضي الذي أصبح أكبر مؤثر في واقع الأفراد والشعوب.

في ضوء هذا الواقع المتغير، فإن الحفاظ على المصالح الوطنية في الحاضر والمستقبل، وحماية هذه المصالح يتطلب إدراكاً كاملاً وواعياً لطبيعة هذه المتغيرات وما وراءها وقراءة أبعادها وآثارها، والتحرك بمرونة واستجابة استراتيجية لضرورات المرحلة الراهنة.

في هذا السياق، جاءت التحركات المصرية المكثفة تجاه الشرق، على نحو يكمل ويدعم شبكة علاقات مصر الدولية مع القوى الصاعدة، والشركاء على المستوى الاستراتيجي والاقتصادي، وذلك إلى جانب علاقات مصر متعددة الجوانب مع الشركاء السياسيين والاقتصاديين في أوروبا والغرب عموماً وهي الدول التي يبدو في الأعوام الأخيرة أنها الأكثر معاناة من تأثير المستجدات الدولية خاصة آثار جائحة «كورونا» ثم الحرب الروسية الأوكرانية، فضلاً عن علاقات مصر الوثيقة مع الأشقاء في الأمة العربية، ومع القارة الأفريقية.

ولا شك أن زيارة الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى كل من الهند وأذربيجان وأرمينيا، قد حملت الكثير من الدلالات بشأن ادراك مصر للتحولات الراهنة في النظام الدولي، وأهمية الاستجابة لمتطلباتها، فهذا التحرك المصري جاء في دائرة غير تقليدية من دوائر سياسة مصر الخارجية وتوسيع وتنويع هذه الدوائر وفق ما تحكمه وتتطلبه مصالح مصر السياسية والاقتصادية والتجارية والاستراتيجية.

فزيارة الرئيس للهند جاءت لتعيد إلى الأذهان سياسة عدم الإنحياز التي قادتها كل من مصر والهند خلال الحرب الباردة ومرحلة الاستقطاب عقب الحرب العالمية الثانية .. ولا شك أننا الآن أمام حالة استقطاب جديدة، تتطلب التحرك بمرونة على الساحة الدولية لضمان تحقيق أكبر قدر من المصالح الوطنية.

كما أدت هذه الزيارة أيضاً إلى تعزيز الشراكة الاستراتيجية بين مصر والهند خاصة وأن الدولة الهندية هي قوة كبرى صاعدة في النظام الدولي، قوة ديمغرافية، وسياسية، وعسكرية وقبل كل ذلك قوة اقتصادية وتكنولوجية متزايدة.

أما زيارة الرئيس إلى كل من أذربيجان وأرمينيا، فقد حملت مفاجأة كبيرة واهتماماً بمنطقة غابت إلى حد كبير عن الاهتمام المصري منذ عقود، ومن المؤكد أن تعزيز العلاقات مع هاتين الدولتين يكمل ما سبق بناؤه من علاقات جيدة مع دول آسيا الوسطى، وكذلك مع دول الشرق الأوربي ومجموعة «فيشجراد».

وقد جاءت هذه الجولة للرئيس السيسي، عقب وقت قليل من انعقاد القمة العربية – الصينية التي حضرها الرئيس، والتي أكدت على تعميق التعاون والشراكة الاستراتيجية بين الصين والدول العربية، والتعاون في مجالي إرساء السلام والتنمية.

إن مرونة الحركة المصرية على الساحة الدولية هو أمر يعكس الإدراك الواعي لطبيعة المرحلة الراهنة من المتغيرات الدولية المتسارعة، ويؤمن مصالح مصر وسط عالم مضطرب يتغير بسرعة.